[٦]
تجربة المسرح الفلسطيني في الارض المحتلة

قبل الاحتلال الاسرائيلي للضفة الغربية ، كانت الحركة المسرحية تخطو خطواتها الاولى على بداية الطريق ، فقد برزت من خلال المحاولة الجادة التي قام بها المخرج طارق مصاروة حيث اسس فرقة مسرحية تمكنت من تقديم عدة عروض كان من أبرزها مسرحية « مركب بلا صياد » للكاتب الاسباني اليخاندرو كاسونا ، ولم تلبث هذه الفرقة أن تبعثرت تحت وطأة هزيمة حزيران . كما أن بلديتي البيرة ورام الله ، أسهمتا في اضافة شيء ما الى الحركة المسرحية من خلال المهرجانات الصيفية التي كانت تقام في هاتين المدينتين ، حيث يتخلل هذه المهرجانات بعض اللقطات المسرحية التي لم تتطور الى اعمال مسرحية متكاملة ، وذلك لان الاهتمام كان منصبا في هذه المهرجانات على الاوبريت الغنائي والرقصات الشعبية .

وقد رافق هاتين الظاهرتين ظاهرة اخرى تتمثل بالاعمال المسرحية « الساذجة » التي كان يعرضها الطلبة الهواة في بعض المعاهد العلمية ، والتي كان جمهورها يقتصر على المدرسين والطلاب وأولياء امورهم في أحسن الاحوال .

بعد الاحتلال ، جرى تمايز واضح في داخل الحركة الثقافية والفنية في الارض المحتلة فبينما ظهر انحسار ملموس في بعض النشاطات الادبية والفنية التي كانت مزدهرة نسبيا قبل حزيران سنة ١٩٦٧ ، فقد اتسمت الحركة المسرحية بالتوسع والنضج الى حد أنها اصبحت أبرز ظاهرة فنية في أرضنا المحتلة ، ولا يجاريها أي فن من الفنون الاخرى في استقطاب الجماهير والتأثير فيها .

وليس من شك ان البذور التي القيت في تربة بلادنا قبل حزيران قد تركت أثرها على الحركة المسرحية في الارض المحتلة وان كان على نحو متواضع ، الا ان وجود عدد من الشباب الذين درسوا المسرح رغم قلة هذا العدد ، وتوفر عدد لا بأس من الممثلين الموهوبين ، وبالاضافة الى الارهاب الصهيوني الذي يمارس ضد شعبنا ، والذي دفع بالغالبية العظمى من هذا الشعب للتصدي للاحتلال بشتى الوسائل والاساليب، كل هذه مجتمعة أسهمت في بلورة الحركة المسرحية وتناميها .

لقد كان للمسرح النصيب الاوفر في التعبير عن مزاج الجماهير الفلسطينية ، بل تثقيفها وتوعيتها على ضرورة التحرك ضد الظلم والارهاب الذي يفرضه واقع الاحتلال ، وصولا الى تصفية هذا الواقع وتغييره .

في أوائل السبعينات تشكلت في مدينة رام الله مجموعة من الشبان وبينهم فتاة واحدة فقط ، واخذوا ينظمون امسيات يقرأون فيها أشعارا لناظم حكمت وغيره من الشعراء الثوريين ، مصحوبة بالموسيقى وبالحركات التعبيرية التي يؤديها بعض اعضاء المجموعة .

وفي هذه الاثناء بالذات ، كانت هنالك مجموعة اخرى في القدس تتلمس الطريق وتطمح في تأسيس فرقة مسرحية ، وكان يتزعم هذه المجموعة فرنسوا أبو سالم الذي درس الاخراج المسرحي في فرنسا ، وقد تم التنسيق بين المجموعتين ، وجرى اتفاق على تأسيس فرقة « بلالين » أول فرقة للمسرح الثوري في أرضنا المحتلة .

ان استعراض تجربة « بلالين » باعتبارها اقوى الفرق المسرحية في الارض المحتلة يعطي صورة كافية عن أبعاد المسرح الفلسطيني تحت الاحتلال ، ولكن ذلك لا يمنع من الاشارة السريعة الى بقية الفرق المسرحية ونشاطاتها .

فبعد ظهور فرقة « بلالين » ، أخذت تظهر فرق مسرحية متعددة ، فقد أسس عطية أبو رميلة فرقة المسرح التجريبي ، كما تأسست فرقة المسرح الفلسطيني التي قدمت مسرحية « مجمع القبضايات » بالاضافة الى فرقة « دبابيس » وفرقة « بلا ــ لين » التي انشقت عن فرقة « بلالين ». وفوق هذه كلها هنالك فرق اخرى مرتبطة بالنوادي والنقابات كما هو الحال في النادي الارثوذكسي في بيت ساحور ونقابة عمال البناء في رام الله والبيرة .